

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[61] الثَّانِيَّة: إِنَّ النِّجَاحَاتِ المَادِيَّةَ الَّتِي يَحْرُزُهَا بَعْضُ الْعَصَاةِ وَالْفَاسِقِينَ إِنََّّمَا هِيَ لَكُمْ لَكُونَهُمْ لَا يَتَّقِدُونَ فِي جَمْعِ الثَّرْوَةِ بِأَيِّ قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ، فَهَمَّ يَجْمَعُونَ الْمَالَ مِنْ كُلِّ سَبِيلٍ، سِوَا مَا كَانَ مَشْرُوعًا أَمْ غَيْرَ مَشْرُوعٍ، حَرَامًا كَانَ أَمْ حَلَالًا، بَلْ إِنَّهُمْ يَجُوزُونَ لِأَنْفُسِهِمْ اِكْتِنَازَ الثَّرْوَةِ حَتَّى عَلَى حِسَابِ الضَّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَامْتِنَاصِ دِمَائِهِمْ، فِي حِينٍ يَتَّقِدُ الْمُؤْمِنُونَ بِمُبَادَرَةِ الْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، فَلَا يَسُوعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِأَنْ يَكْتَسِبُوا الْمَالَ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ كَانَ، وَأَيِّ سَبِيلٍ اتَّفَقَ، وَلِهَذَا لَا يُمْكِنُ (أَوْ لَا تَصِحُّ) الْمُقَارَنَةُ وَالْمُقَايَسَةُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ. هَؤُلَاءِ يَشْعُرُونَ بِالمَسْئُولِيَّةِ الثَّقِيلَةِ، وَأُولَئِكَ لَا يَشْعُرُونَ بِأَيِّ مَسْئُولِيَّةٍ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِأَيِّ ضَاطِئَةٍ، وَحَيْثُ إِنَّ الْحَيَاةَ الْحَاضِرَةَ حَيَاةَ الْإِرَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْحُرَّةِ، وَعَالَمَ الْإِخْتِيَارِ الْحُرِّ، كَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَتْرَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كُلَّ الطَّائِفَتَيْنِ أَحْرَارًا لِيَتَصَرَّفُوا كَيْفَ شَاؤُوا، وَلِيَنْتَهُوا فِي الْمَالِ إِلَى نَتَائِجِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي اِكْتَسَبُوهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مَا يَقْصِدُهُ وَيَعْنِيهِ سُبْحَانَهُ، بِقَوْلِهِ فِي خَتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ: (ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ). مَعْرِفَةُ نَقَاطِ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ مَعًا: ثُمَّ أَنْ هُنَاكَ سَبَبًا آخَرَ لَتَقَدُّمِ وَنَجَاحِ بَعْضِ الْكُفَّارِ وَالْفَاسِقِينَ، وَتَأَخُّرِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ أَنَّ الطَّائِفَةَ الْأُولَى رَغْمَ خُلُوقِهِمْ مِنْ عِنَصْرِ الْإِيمَانِ يَتَحَلُّونَ - أحيانًا - بِبَعْضِ نَقَاطِ الْقُوَّةِ الَّتِي يَحْقُقُونَ فِي طَلَّهَا مَا يَحْقُقُونَ مِنَ الْمَكَاسِبِ، وَيَحْرُزُونَ مَا يَحْرُزُونَ مِنَ النِّجَاحَاتِ، فِيمَا تَعَانِي الطَّائِفَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ نَقَاطِ الضَّعْفِ تَوْجِبُ تَأَخُّرَهُمْ وَانْحِطَاطَهُمْ. فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَشْخَاصًا - رَغْمَ انْقِطَاعِهِمْ عَنِ اللَّهِ - يَتَسَمُّونَ بِالْجِدَّةِ الْكَبِيرَةِ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَتَحَلَّوْنَ بِالِاسْتِقَامَةِ وَالْعِزْمِ، وَالتَّنْسِيقِ وَالتَّعَاوُنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَالمَعْرِفَةِ بِقَضَايَا الْعَصْرِ وَمَتَطَلِبَاتِهِ، وَمَقْتَضِيَاتِهِ وَمُسْتَجِدَاتِهِ، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَحْقُقَ هَؤُلَاءِ